



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرضائي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني
(أبي عبد الله)

الدرس رقم (2)

التاريخ : الخميس 21 - 3 - 1440 هـ

الدرس الثاني من دروس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أمّا بعد: فهذا هو المجلس الثاني من مجالس شرح الأصول الثلاثة، التي نسأل الله عز وجل أن يرزقنا فيها الإخلاص والقبول؛ وأن يوفقنا ويسددنا فيما نقول .

كنا في الدرس الأول قدمنا بمقدماتٍ قبل الشروع في هذه الرسالة المباركة التي نفع الله بها خلقاً كثيراً، ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بها جميعاً، وأن يرفعنا بها في الجنات درجات.

وكنا قد ذكرنا أنّ هذه الأصول الثلاثة باختصار هي أسئلة القبر الثلاثة: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟

هذه الأصول متعلقة بأصلٍ عظيمٍ من أصول الدين؛ ألا وهو العقيدة؛ والعقيدة عرّفناها وقلنا أنّها ما يُعقد عليه القلب، أو بعبارة أخرى هي: حكم الذهن الجازم .

خرج بقولنا حكم الذهن **قول اللسان** ، فإنّه لا يُعتبر عقيدة فإنّ المنافق يقول بلسانه ما لا يعتقد قلبه، فلا تكون عقيدةً له.

وخرج كذلك بقولنا الجازم **الشك**، فإن الشاك غير معتقدٍ حقيقة ؛

هذه العقيدة إن طابقت الواقع كانت عقيدة صحيحة، وإن خالفت الواقع كانت عقيدة باطلة.

وكمثالٍ على هذا : اعتقاد النصارى أنّ الله ثالث ثلاثة فإنّ هذه تعتبر عقيدة، هي عقيدة لهم لكنّها مخالفة للواقع، فتكون عقيدة باطلة، عقيدة فاسدة.

وذكرنا كذلك أنّ العلماء اغتنوا بهذا المختصر (الأصول الثلاثة) تحفيظاً وشرحاً لطلابهم
لأمور ذكرنا منها :

- معرفه هذه الأصول أي: الأصول الثلاثة بأدلتها، وهذا يمكّنك من الإجابة على أسئلة القبر بإذن الله.
- وكذلك اعتنى بها العلماء لأنّها مُختصرة وواضحة.
- ولأن الله عزّ وجل وضع لها القبول في الأرض.

درسنا لهذه الليلة بإذن الله في التعليق على الجزء الأول من المقدمة التي قدّم بها المؤلف - رحمه الله - بين رسالته، ونحن كنّا قد قسّمنا المقدمة إلى ثلاثة أجزاء، وقلنا أنّ الجزء الأول: وهو ما يتعلق بالمسائل الأربعة المذكورة في سورة العصر، هذا الذي سنتطرق إليه الليلة إن شاء الله.

قال المؤلف - رحمه الله -: **[بسم الله الرحمن الرحيم] :**

ابتدأ المؤلف رحمه الله رسالته بالبسملة **اقتداءً بالكتاب والسنة** ، فإنّ كتاب الله عزّ وجلّ يبتدئ بالبسملة ، أول ما تفتح المصحف وأول ما يقع عليه نظرك إليه البسملة، ونبي الله سليمان عليه السّلام ابتدأ كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ بالبسملة، { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) } سورة النمل .

ومن السنة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يبتدئ رسائله الى الملوك بالبسملة، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري.

(الباء) في بسم حرف جر ، **واسم**: اسم مجرور بالباء .

والجار والمجرور أي (بسم) لا بدّ له من مُتعلّق يتعلّق به ويبين معناه، والمتعلّق في البسملة نقدّره فعلاً محذوفاً مؤخراً مناسباً للمقام؛ تقديره حَسَبَ المُراد الذي يكون في الجملة، فإذا جئت تكتب وقلت (بسم الله) فمعناها بسم الله أكتب أو بسم الله أُصنّف أو اكتب مُستعيناً بالله، وحينَ الأكل اذا قُلْتَ (بسم الله) قبل البدء في الأكل يكون تقدير الفعل المحذوف بسم الله أكل، أو آكل مستعيناً بالله.

(والله) علّم على الباري سبحانه وتعالى وهو الذي تتبعه جميع الأسماء ولا يُسمى به غيره.

وهو مشتقّ من (أله ، يألّه ، إلهة) ، وهو المألوه أي: المعبود محبة وتعظيماً.

(الرحمن) ذو الرحمة الواسعة العامّة، وهو من الأسماء الخاصة به سبحانه وتعالى، ولا يُستَعمل هذا الاسم غيره.

(الرحيم) ذو الرحمة الواصلة الخاصة بالمؤمنين قال الله تعالى: { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }.

وأما الحديث الوارد في ذلك: (كلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتَر) أو: (أقطع) فهو ضعيف لا يصح، وقد ضعّفه الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل .

قال المؤلف رحمه الله : [اعلم رحمك الله]

المؤلف أتى هنا بكلمة [اعلم] لإثارة الانتباه وكلمة اعلم فعل أمر من العلم، فهو يأمرك بأن تَعْلَم وتَجْزِم بما سِيْلَقى عليك، ولا يكن شكّ عندك في ذلك.

[العلم]: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، أو نقول : إدراك الشيء حسب ما هو عليه في الواقع ادراكاً جازماً.
وضد العلم الجهل.

والجهل قسمان : بسيط ومُرْكَب .

- الجهل البسيط : هو عدم الإدراك بالكلية.
- وأمّا الجهل المُرْكَب : فهو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.

وأمّا قول المؤلف - رحمه الله - :

[رحمك الله] لأنّه قال : "اعلم رحمك الله " فهو دعاءٌ بالرحمة ، وهو يتضمن التوفيق للعمل فيما يُسْتَقْبَل، والمغفرة فيما مضى من الذنوب، وإذا اقترن الدعاء بالرحمة والمغفرة كأن يقول لك مثلاً: رحمك الله وغفر لك اقترن الدعاء بالرحمة والمغفرة؛ فإنّ معنى الدعاء بالرحمة في هذه الحالة وهذا الإقتران هو التوفيق للعمل فيما يُسْتَقْبَل.

هذا الدعاء هو تَلَطُّفٌ من الشيخ -رحمه الله - مع الطالب فهو يدعو لك بالرحمة، وهذا الدعاء من هذا العالم الجليل والرجل الصّالح أَرْجى للقبول إن شاء الله، ونسأل الله عزّ وجل أن يرحمنا جميعاً برحمته.

ومن **صفات العلماء الربانيين** أنَّهم يحسنون تربية طلابهم، ويربونهم على الأخلاق الفاضلة، وهم أشدَّ حرصاً لنفع النَّاس؛ وأمَّا الشَّده الزائدة والغِلظه والفضاظة؛ فليست من أسلوب العلماء والدعاة إلى الله عزَّ وجل، قال الله سبحانه وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.

قال المؤلف -رحمه الله- بعد ذلك : [أنه يجب علينا تعلم أربعة مسائل] .

الواجب في اللغة : هو اللازم والساقط.

وأما في الاصطلاح : فهو ما أمر به الشرع على وجه الإلزام. أو نقول : ما يُثاب فاعله ويستحق تاركه العقاب .

فالمؤلف يقول لك : يجبُ عليك أن تتعلم هذه المسائل وجوباً لا نفلاً؛ فإن لم تتعلمها وقصّرت في ذلك فإنك مستحقٌ للعقوبة والاثم .

والواجب كما مرّ معنا في الدرس الأول منه ما هو كفائي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقيين، وإذا لم يفعلوه جميعاً أثموا جميعاً .

وقسيم الواجب الكفايي؛ قسيمه الآخر هو :

(الواجب العيني) وهو: ما يلزم كل واحد بعينه، أي بنفسه.

والوجوب الذي ذكره المؤلف -رحمه الله- لأنّه قال أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل هو الوجوب لجميع المسلمين والمسلمات، المُكَلِّفين والمُكَلَّفات، لا على طلاب العلم فقط.

لا ؛ يدخل في الوجوب الجميع *فرض عين*

وأما قوله (تَعَلُّمٌ) فإنه التعلُّم هنا لا مجرد القراءة ، لا بدّ في التعلُّم من الحفظ والفهم .

وقوله : (أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل) : المسائل من المسألة ، والمسألة من السؤال أي المباحث والمسألة هي : ما يُبرهن عليه في العلم .

ثم قال- رحمه الله - : [الأولى]

أولى هذه المسائل [العلم] ؛

فالمسألة الأولى التي يجب تعلّمها من هذه المسائل الأربع هي العلم .

وقد سبق تعريف العلم وقلنا : هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع إدراكاً جازماً .
من غير شك .

هذا العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

قال المؤلف- رحمه الله- : [العلم]

المسألة الأولى العلم وهو معرفة الله ، فهذه السّماء ، وهذا الليل والنّهار ، وهذه الجبال والبحار ، وغير ذلك من مخلوقات الله وآياته؛ كل ذلك لا يمكن أن يكون وُجد من غير موجد، لا بُدَّ له من مُوجد ؛ وهو الله سبحانه وتعالى

وقد قيل للأعرابي: بَمَ عرفت ربك ؟قال: سبحان الله! البعرة تدلّ على البعير والأثر يدلّ على المسير، فبحار ذات أمواج وجبال ذات فجاج ، وليل داج ألا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير!

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : معرفه الله قسمين : عامّة وخاصّة

- المعرفة العامّة : هي الإقرار به والتصديق والإيمان
- وأمّا المعرفة الخاصة: وهذه تقتضي مَيْلُ القلب بالكلية إلى الله، والانقطاع إليه، والأنس به والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له. انتهى كلامه رحمه الله

هذه المعرفة الخاصة هي التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم " تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ "

والمعرفة العامة هي: المقصودة في قول المؤلف -رحمه الله - *معرفة الله* هذه المعرفة بالله تقتضي منك الإيمان بالله عز وجل والانقياد لأوامره والبعد عن زواجه .

ثم معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم :

وهو محمدٌ صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى الناس كافة فتعرف اسمه ، وتعرف نسبه ، ومولده ، وموطنه الذي عاش فيه وشرعه الذي جاء به فتبعه ولا تبتدع .

ثم معرفة دين الإسلام بالأدلة .

الإسلام لغة : هو الاستسلام . أي : الانقياد .

وأما في الشرع : فإن الإسلام يُطلق على معنيين :

معنى عام : وهو كما عرّفه العلماء هو: الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله . وبتفسير آخر هو **التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة** قال تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } وقال تعالى : { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (١٢٨) سورة البقرة

فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم ، فاليهود مسلمون في زمن موسى صلى الله عليه وسلم ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى هو المعنى العام للإسلام .

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو **الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم** ، فلا دين إلا دين محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم نسخ جميع الأديان التي كانت قبله؛ فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم. قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران ٨٥

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى ((بالادلة)) :

يعني معرفة هذه الأمور بالأدلة، والدليل هو **المرشد للمطلوب**؛ فمعرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام تكون بالأدلة، لا تكون بالهوى، ولا تكون بالتقليد.

وهذه الأدلة تنقسم إلى قسمين:

• **أدلة عقلية: وهو ما يثبت بالعقل والتفكير.**

• **وأدلة سمعية: وهي نصوص الكتاب والسنة.**

معرفة الله عز وجل تكون بالأدلة العقلية كما مر معنا وذلك بالتأمل في آياته ومخلوقاته وتكون كذلك بالأدلة السمعية آيات الكتاب والسنة .

معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون كذلك بالأدلة العقلية لذلك أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم معجزاتٍ، وأعظم معجزاته القرآن الكريم وهي باقية، فمن قرأ القرآن وتفكر فيه وتأمل فيه وتدبر عِلْمَ بأنه ليس بكلام للبشر ، وتكون كذلك معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة السمعية، أدلة الكتاب والسنة .

أما معرفة دين الإسلام فهذه لا سبيل لمعرفتها بالعقل؛ لا بُدَّ فيها من نص .

لا رأي في الدين ولا إستحسانا * فالله قد أكمله بيانا**

هذا فيما يتعلق بالعلم.

المسألة الثانية: هي العمل به،

أي: **العمل بالعلم**، فيجب عليك أن تعمل بما علمت، فإذا علمت أن الله عز وجل واحد في ربوبيته فهو الخالق الرازق المدبر؛ فلا تسأل الرزق إلا من الله عز وجل ولا يتعلق قلبك بغيره أبداً؛ وإذا علمت أن الله واحد في ألوهيته ولا يستحق العبادة معه غيره فلا تعبد مع الله أحداً لا ملكاً مُقَرَّباً ولا نبياً مرسلًا، وإذا علمت أن لله الاسماء الحسنى وأن الله سميع أحاط سمعه كل المسموعات، "ليس كمثله شيء" وهو السميع البصير؛ فيجب عليك أن تعمل بهذا العلم فتحذر أن تقول كلاماً لا يرضاه الله فإنه يسمع السِرَّ وأخفى.

وإذا عرفت أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً لهذه الأمة فيجب عليك العمل بذلك، ويجب عليك اتباعه فيما امر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا تعبد الله عز وجل إلا بما شرعه صلى الله عليه وسلم، وإذا عرفت بأن دين الإسلام هو دينك فيجب عليك أن تعمل بهذا الإسلام فتستسلم لله بالتوحيد وتنقاد له بالطاعة وتبتعد عن الشرك وأهله .

والعمل هو الثمرة المطلوبة من العلم، في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، منها: عن علمه فيما فعل)) أخرجه الترمذي وصححه الألباني رحمه الله، وقال علي رضي الله عنه ((هتَفَ العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل))

وقال آخر: **وعالم لم يعملن بعلمه **** معذب من قبل عباد الوثن**

المسألة الثالثة: هي الدعوة اليه؛

الدعوة الى هذا العلم الذي علمته فإذا من الله عز وجل عليك أيها الطالب بالعلم والعمل فإنه يجب عليك الدعوة إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فتدعو الناس

الى ما عرفته من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، تدعو الناس إلى الإسلام الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات ، تدعو الناس إلى الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وإتباعه، قال تعالى ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) النحل ١٢٥

وقال تعالى ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)) يوسف

وقال تعالى ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ..))ال عمران ١٨٧

وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النعم)) والحديث أخرجه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)) والحديث عند مسلم؛ **فالدعوة إلى الله واجبة كلٌّ على القدر الذي يستطيعه وحسب علمه،** **فالدعوة إلى الله تجمع بين اللين والرفق، وتكون على بصيرة بحال الدعوة وحال المدعو، وتكون المجادلة بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا وعُلم منهم العناد والكبر فهؤلاء معهم حال آخر،** قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣))) النساء

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

إذا فعلت كل هذا أيها الطالب، أيها المسلم

إذا تعلّمت وعملت ودعوت وكنت مقتفياً سنن النبيين والمرسلين ؛ فاعلم أنه لا بد أن يصيبك الأذى ، فإنّ الذي يمنع الناس شهواتهم وأهوائهم يؤذونه إمّا بأفواهم أو بأفعالهم

فحينئذ يجب عليك أن تصبر، **والصبر واجب** ، وهو أهم المهمات وقد أمر الله به في آيات كثيرة ، ومدحه ومدح أهله

من ذلك قول الله تعالى (((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ))) الأحقاف ٣٥

وقال تعالى (((إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))) الزمر ١٠

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (((وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ))) الانعام ٣٤

فيصبرُ في هذه الأمور كلها؛ فيصبر على التعلّم وعلى العمل وعلى الدعوة في سبيل الله .

والصبرُ في لغة العرب: هو الحبس

وفي الشرع: حبسُ اللسان عن التشكي والتضجر والنفس عن الجزع والجوارح عن لطم الخدود .

والصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **صبر على الطاعة حتى يؤديها** فانت تصبر على أن تصلي الصلاة في وقتها وتؤدي الزكاة المكتوبة وغير ذلك من الطاعات، هذه الطاعات لا بد لها من صبر .

٢- **والقسم الثاني: من أقسام الصبر صبر على المعصية حتى تتجنبها** فأنت تصبر ولا تكذب ولو كان الكذب في نظرك سينجيك .

٣- **القسم الثالث: من أقسام الصبر صبر على أقدار الله المؤلمة** . فيصبر الإنسان على الفقر إذا كان فقيرا ويحتسب الأجر من الله عز وجل .

والدليل على هذه المسائل الأربع قال المؤلف رحمه الله تعالى: ((وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣))) العصر

المؤلف - رحمه الله - يربي الطالب على الدليل، المؤلف رحمه الله كما أشرنا في الدرس الأول شديد الحرص على الدليل؛ فهو لا يقول شيئاً إلا ويعقبه بالدليل وسيمر معنا هذا كثيراً في هذه الرسالة، وفي رسائله الأخرى إن شاء الله، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة فإنهم يبنون عقائدهم على الدليل، لا على التقليد، ولا على إعمال العقل وتعطيل النقل؛ فاستدل المؤلف رحمه الله على هذه المسائل الأربعة التي ذكرها بسورة العصر،

والواو: في قول الله تعالى: «والعصر»: حرف قسمٌ؛ وحروف القسم ثلاثة: وهي الواو، والباء، والتاء، فتقول: والله، وتقول بالله، وتقول تالله.

والله عز وجل هو الصادق وإن لم يُقسم، ولكن القسم هنا للتأكيد، والله عز وجل له أن يُقسم بما يشاء؛ وقد أقسم بالسماء، وأقسم بالشمس وضحاها، وبالليل إذا يغشى وغير ذلك كثير؛

وهذا القسم بهذا المُقسم به لبيان عظمة الشيء المحلوف به من مخلوقاته؛ لكن المخلوق ليس له ذلك فلا يُقسم إلا بالله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد أشرك) والحديث عند أبي داود وقد صححه الألباني رحمه الله

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)

ولا يأتينا آتٍ ويقول لنا الله عز وجل يُقسِمُ بمخلوقاته فنحن كذلك لنا أن نُقسم
بالمخلوق ،

فنقول له : لا ؛ أنت لا تقس نفسك على خالقك ، فالله عز وجل هو سيّدك أمرك ألا
تقسم بغيره ؛ فيجب عليك امتثال أمره

والعصرُ الذي أقسم الله به اختلف في معناه على عدة معاني أشهرها :

هو وقت صلاة العصر المعروفة ، من نهاية وقت صلاة الظهر إلى دخول وقت صلاة
المغرب

وقال آخرون : هو الدهر والزمان كلّ الذي هو محلّ العمل ، محلّ تحصيل الحسنات أو
السيئات

والقسم الذي في قوله: والعصر لا بدّ فيه من جواب القسم، وجوابه هنا في السّورة
قوله تعالى: « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »

وجواب القسم جاء مؤكدا ب (إِنَّ) ، وجاء مؤكدا كذلك باللام في قوله (لَفِي) ؛

فاجتمعت ثلاثة مؤكدات في هذا المحل ؛ وهي القسم ، وإنّ ، واللام .

وهذا الأسلوب يصلح خطابا لمن كان يُنكر هذا الأمر ؛

وفي قول الله تعالى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ » : أي جنس الإنسان ؛ كلّ الإنسان ؛ فهي تفيد
العموم وتشمل جميع جنس الإنسان ؛ كلّهم في خسران إلاّ من استثناه الله عز وجل
بعد ذلك وهم :

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فجمعوا بين الإيمان القلبي وبين العمل بالجوارح ،

« وتواصوا بالحق » ؛ أي أوصى بعضهم بعضا بالإيمان بالله وطاعته ،

« وتواصوا بالصبر » أوصى بعضهم بعضا بالصبر ؛

واستدلال المؤلف رحمه الله على وجوب العلم في سورة العصر من قوله : « إلا الذين آمنوا » فإن الإيمان هو التصديق ؛ لكن بأي شيء تُصدق وبأي شيء تؤمن ؟ فهذا الإيمان ؛ هذا التصديق مسبوق بعلم، سبق هذا الإيمان بعلم ؛ فأنت تُصدق وتؤمن بما علمته وتيقنته ، فالعلم قبل القول والعمل لذلك استنبط الشيخ رحمه الله ؛ وهذا من دقيق فهمه -رحمه الله-

العلم : من قوله تعالى : «إلا الذين آمنوا »

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في- مدارج السالكين - : ("أقسم الله سبحانه أن كلَّ أحدٍ خاسرٌ إلا من كملت قوّته العِلْمية بالإيمان وقوّته العملية بالعمل الصالح ، وكَمَل غيره بالتَّوصية بالحق والصبر عليه ؛ فالحق هو الإيمان والعمل ولا يتمّان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما "

قال الشافعي رحمه الله تعالى : " لو ما أنزل الله حجةً على خلقه إلا هذه السورة لكفّتهم ؛ "

الشافعي رحمه الله هو : محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة المتوفى سنة أربع ومئتين للهجرة ٢٠٤ هـ

ينتهي نسبه إلى بني المطلب من قُريش ؛ وهذا القول عزاه الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله - لمناقب الشافعي للإمام البيهقي رحمه الله

الشافعي رحمه الله قال ذلك، قال هذا القول لأنّ هذه السورة فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة ؛ والقرآن كلّهُ هو تفصيل لهذه المسائل الأربعة ، وليس معنى كلام الشافعي أنّ هذه السورة تكفي وتُغني عن القرآن كلّهُ ! لكنها كافية في إقامة الحجة على بني آدم .

ثم قال المؤلف رحمه الله: (وقال البخاري رحمه الله تعالى : بابٌ : العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى :«فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك » : فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

البخاري : هو محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله ، إمام أهل الحديث وجبل الحفظ ، صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، المتوفى سنة ست وخمسين ومئتين للهجرة .

وقوله باب العلماء رحمهم الله يقولون : (أنّ فقه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في تبويبه للأبواب) فإذا قرأت عنواننا فإنك تأخذ من ذلك أمورا كثيرة

قال البخاري رحمه الله : [بابٌ] العلم قبل القول والعمل

فإن العمل لا ينفع إلا إذا كان مبنياً على علم ؛ والعمل الذي يُبنى على جهل لا ينفع بل قد يضر

واستدل على ماقاله رحمه الله بالآية :«فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك »

ووجه الاستدلال من الآية قوله : (فاعلم) : هنا العلم ، وقوله (واستغفر) : العمل

(فبدأ بالعلم قبل القول والعمل) : لأنّ قول اللسان عمل ؛ فالاستغفار عمل ؛

فلا يتصدى أحد لدعوة الناس إلا بعد العلم ، ولا يتصدى العابد إلى عبادة إلا بعد

العلم ؛ فالعلم قبل القول والعمل ، والذي يعمل بغير علم يفسد أكثر مما يُصلح ويكون

فيه شبهة من النصارى

بخلاف اليهود فإنهم يعلمون ولا يعملون فلذلك أمرنا الله عز وجل أن نسأله أن يُجِيبَنَا صراطهم فقال تعالى : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) الفاتحة

والمغضوب عليهم في الآية هم اليهود لأنهم علموا ولم يعملوا

والضالون : هو النصارى لأنهم يعملون من غير علم

والله عز وجل أمرنا أن نسلك طريق المنعم عليهم الذين يعلمون ويعملون .

فانت يا أخي الفاضل ترى بأن المؤلف رحمه الله يُمَهِّد للأصول الثلاثة ، وقبل أن يسرُّدها أتى بهذه المسائل الأربعة ، وبدأ بتفصيلها وبدأ أول ما بدأ بالعلم وفسَّره بالعلم بالأصول الثلاثة ، بأن تعلم من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فالمؤلف - رحمه الله - يُنَبِّه طالب العلم أن العلم مهمٌ للغاية حتى إنه قبل القول والعمل وهذا العلم هو الذي يُنَجِّي به نفسه بفضل الله جل وعلا إذا سئل عن هذه المسائل الثلاثة.

هذا ماتيسر لنا في هذا الجزء الأول من المقدمة ، نسأل الله الإعانة والتيسير .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه .